

علم النحو : تطوراته ونظرياته ومدارسه والاستفادة منه
لتعليم اللغة العربي (مدرسة البصرة والكوفة)

Muhammad Syaifullah & Nailul Izzah

Institut Agama Islam Ma'arif NU (IAIM NU) Metro Lampung

Email: muhammadsyaifullah121285@gmail.com & saygheza13@gmail.com

الملخص

"يتناول البحث بالتحليل والمناقشة قضية الخلاف النحوي وحقيقة المدارس النحوية، بغية استكشاف حقيقة أمر الخلاف وفق منهج علمي موضوعي يقوم على استقراء مقولات النحو وآراء العلماء، وإجراء تحليل يقوم على الأسس التي بنيت عليها جهود النحاة القدماء. والثابت أن موضوع الخلاف في الدرس النحوي التقليدي قد حظي باهتمام واضح بين الدارسين قديما وحديثا، حتى غدت فكرة الخلاف النحوي وتقسيم النحاة في مذاهب أو مدارس مختلفة على أسس جغرافية، أمرا مستقرا في أذهان الدارسين وينظر إليها بوصفها واقعا لا يقوي أحد على إنكاره، فبالإضافة إلى مدرستي البصرة والكوفة ظهرت مدرسة بغداد، ثم جعل للأندلس مدرسة، وكذلك لمصر والشام. وفي هذا البحث تبحث عن البحث علم النحو: تطوراته ونظرياته ومدارسه والاستفادة منه لتعليم اللغة العربي خاصة لمدرسة البصرة والكوفة. للوصول إلى البيانات المطلوبة والدلائل المثبتة في القضية، قام الباحث بإجراء البحث بطرائق لازمة في الدراسات المكتبية وهي المنهج الاستقرائي والمنهج الاستدلالي والمنهج البياني. تدرك البيانات والمعلومات من مصادرها وهي المواد المكتوبة في الكتب أوالنسخ أوالمقالات."

الكلمات المفتاحية: علم النحو، تطوراته، ونظرياته، ومدارسه، والاستفادة منه لتعليم اللغة العربي.

مقدمة

أن النحو العربي يقوم على أسس ثابتة، وأن جهود علماء النحو تنبني جميعا على تلك الأسس، فالنظرية واحدة والمنهج واحد والأساس سماع المادة اللغوية من العرب، ثم النظر في هذه المادة المسموعة وتحليلها لبناء القواعد، وقد استخدموا جميعا المصطلحات نفسها، ووجود عدد محدود من المصطلحات المختلف في استخدامها لا يعني قيام مدرسة جديدة. وبالتالي،

فإن وجود الخلافات بين النحاة لا يعني انتماءهم إلى مدارس مختلفة، فمواطن الالتقاء أكثر بكثير من مسائل الاختلافات، ثم إن تلك المدارس المزعومة لم تكن متجانسة في النظر إلى المسائل اللغوية، فالخلافات بين نحاة المدرسة الواحدة ربما تفوق الخلافات بين المدرستين المختلفتين، وسواء أكانت الخلافات بين من ينتمون إلى مدرسة واحدة، أم بين ينتمون إلى مدرستين مختلفتين، فإنها خلافات تقوم على الفروع لا على الأصول العامة للنحو العربي.

تعريف علم النحو وعوامل نشأة النحو

١. تعريف علم النحو

(أ). المعنى اللغوي

جاء في لسان العرب^١ في مادة "نحاً" أن النحو : إعراب الكلام العربي، والنحو : القصد والطريق والجهة، ومنه سمي النحوي لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب. وورد في المصباح المنير^٢ أن "معنى (نحوت) نحو الشيء قصدت، فالنحو القصد، ومنه النحو لأن المتكلم ينحويه منهاج العرب أفراداً وتركيباً، والجمع أنحاء ونحاء". وجاء في القاموس المحيط^٣ أن النحو: الطريق والجهة. وعلى هذه كلها أجمع معاني كلمة (النحو) في اللغة : القصد والطريق والجهة.

(ب). المعنى الاصطلاحي

يفصل سيبويه^٤ في "الكتاب" جوانب علم النحو واهتمامه، فيجعلها، في إطارها العام "مجازي أواخر الكلم من العربية"، ويدرج مجازيها، فيجعلها ثمانية، هي : "النصب والجر، والرفع، والجرم، والفتح، والضم، والكسر، والوقف". ثم فصل كلاماً في التثنية، والجمع، والنكرة، والمعرفة. ثم يتكلم على المسند والمسند إليه، فاللفظ والمعنى. ورد في الخصائص^٥ تعريف للنحو على أنه: "انتحاء سمّت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، ليلحق مالميس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شدد بعضهم عنها ردّ به إليها.

٢. عوامل نشأة النحو

^١ ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار لسان العرب، ١٩٧٠)، ص. ٥٩٩

^٢ الفيومي، كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٢٨)، ص. ٨١٧

^٣ مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (مصر: مطبعة السعادة، ١٩١٣)، ص. ٣٩٤

^٤ سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٦)، ص. ١٣

^٥ ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، (بيروت: دارالهدى للطباعة والنشر، ١٩٥٢)، ص. ٣٤

كانت اللغة العربية قبل وضع النحو، وكانت قد وصلت إلى منتهى الكمال والنضوج من حيث الفصاحة وقوة البيان، حيث تعج الجزيرة العربية بالشعراء والخطباء وعلماء السير والأنساب، والعرب يقيمون الأسواق للأدب والشعر، وقد أصبحت اللغة العربية لغة مثالية تنطقها كل قبيلة وهي لغة المجتمعات الأدبية.

وكانت ثلاثة من العوامل المؤثرة في نشأة النحو، والدافعة إلى دراسة اللغة العربية دراسة منظمة لاستخراج قواعدها، هي: العامل الديني والعامل القومي والعامل السياسي.⁶

(أ) العامل الدين

القرآن دستور الإسلام، ففيه دليل العبارات والمعاملات وآداب السلوك وعلاقات الأفراد والجماعات للأمة الإسلامية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها. ثم هو نص موثق بكل تفاصيله بدءاً بمخارج حروفه إلى علامات إعرابه إلى ألفاظ كلماته إلى تراكييب جملة إلى أماكن الوقف في خلال هذه الجمل وفي نهايتها، ثم هو نص معجز سواء من حيث المعنى السامى القصد ومن حيث المبنى المحكم النسج، ولذلك كان القرآن معجزة الإسلام الكبرى.

من هنا كان الخوف على القرآن حيناً من عوادي الفتنة وحيناً من مخاطر اللحن هو الدافع للسلف الصالح من المسلمين إلى اتخاذ خطوات مخصصة تقيه سعواها إلى المحافظة على النص القرآني من أهواء التحريف وأخطاء اللحن. وأمر عثمان لأن يجمعوا ماتفرق من الصحف واستكتبهم مصحفاً، وكان أكثر ذلك في بيت حفصة بنت عمر.

كان الخط العربي الذي كتب به مصحف عثمان لا يعرف النقط ولا الشكل ولهذا لم يكن هذا الخط بآمن من التصحيب والتحريف. مثل (صرب) يمكن أن تقرأ: ضَرْب-ضَرْب-صِرْب-إلخ. وكان ضرر ذلك يتمثل في خلوهذا الرسم مما يعين المسلم غير الفصيح على ضبط حركات الإعراب في أواخر الكلمات. لهذا رأينا أبا الأسود ينهض لنقط المصحف ضبطاً لإعرابه، فكانت هذه هي البداية التي لاجدال حولها للنحو.

(ب) العامل القومي

الرغبة في تعليم اللغة العربية للأجانب الذين انضوا تحت راية الدولة الإسلامية. وهنا نعود مرة أخرى إلى القرآن لأنه وعاء هذه الرسالة التي ننظر إليها الآن من وجهة النظر

⁶ تمام حسان، "الأصول" دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو-فقه اللغة-البلاغة، (القاهرة: علم الكتب، 2004)، ص. 23

القومية، وإنما الأمر أن يكون القرآن محور الجهد الثقافي العربي من ألفه إلى بائه، والأمر على تسميته بالثقافة الإسلامية جملة وتفصيلاً.^٧

ومن هنا كان من الضروري أن ينشأ علم "التفسير"، لأن لا تجد فيه مالا يمكن الاستدلال على عروبه من كلام العرب. ولا بد إلى أن يؤدي تفسير الآيات التي تذكر إلى الخوض في التاريخ للوصول إلى العبرة والموعظة بمن باد من الإمام. والقرآن نص أدبي معجز يشتمل على الحقيقة وعلى المجاز، فليكن مجاز القرآن علماً ثم ليتحول هذا العلم إلى علم البلاغة. إذا كان العامل القومي قد دفعهم إلى جنى ثمار القرآن، ولقد أقام العرب بنيانهم الثقافي الأصيل على القرآن.

ج) العامل السياسي

إن العامل السياسي يأتي في الترتيب الزمني بعد العاملين السابقين حتى فاقسم المسلمون إلى عربي ومولى. كان أبو الأسود وأصحابه من رجال الطبقة الأولى ينفذون أيديهم من بعض التصنيفات النحوية الأولية كأقسام الكلم وحركات الإعراب ونحوها حتى وجد المولى ضالتهم المنشودة التي تمكنوا بواسطتها من تعلم لغة الدين والدولة والمجتمع جميعاً.

ماحول المولى النحو العربي من منهج علمي إلى منهج تعليمي، وبالسعي إلى تحقيق الغاية التعليمية وجدنا المؤدبين من النحاة وهو الكسائي، فتحول النحو شيئاً فشيئاً إلى أداة تعليم وإلى الطابع التعليمي. وهذا مدفوعاً إلى التفكير المجردة عن العلم.^٨

فإذا يمتد مفهوم النحو إلى التراكيب فهو يبحث فيها وما يرتبط بها من خواص. فالنحو يعمل على تقنين القواعد والتعميمات التي تصف تركيب الجمل والكلمات وعلمها في حالة الاستعمال التي تتعلق بضبط أواخر الكلمات.^٩

المدارس النحوية

توجد من خمسة المدارس النحوية هي: المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية والمدرسة البغدادية والمدرسة الأندلسية والمدرسة المصرية.^{١٠}

١. المدرسة البصرية

^٧ تمام حسان، "الأصول"، ص. ٢٥.

^٨ تمام حسان، "الأصول"، ص. ٢٧.

^٩ محمد رشدي خاطر و مصطفى رسلان، تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، (القاهرة: دار الثقافة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)، ص. ١٨١.

^{١٠} شيقى ضيف، المدارس النحوية، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨)، ص. ٩.

وكان طبيعياً أن أبدأ بالمدرسة البصرية، لأنها هي التي وضعت أصول النحو وقواعده ومكنت له من هذه الحياة المتصلة التي لا يزال يحياها إلى اليوم، وكل مدرسة سواها فرع لها وثمره تالية من ثمارها. وقد تقدمت بتصحيح خطأ شاع وذاع قديماً وحديثاً، وهو ما ينسب إلى أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه من وضع بعض مبادئ النحو، وهي إنما بدأت توضع الجيل التالي عند ابن إسحق الحضرمي. وأوضحت الأسباب التي جعلت عقل البصرة أدق وأعمق من عقل الكوفة وأكثر استعداداً لتسجيل ظواهر النحو العربي ووضع قواعده وقوانينه.

أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة النحوية ولعلم النحو العربي بمعناه الدقيق، تضاعيف ذلك إقامته لصرح النحو بكل ما يتصل به من نظرية العوامل والمعمولات وبكل ما يسنده من سماع وتعليل وقياس، مع بيان ما امتاز به من علم بأسرار العربية وتذوق لخصائصها التركيبية.

ثم خلفه على تراثه تلميذه سيبويه الذي تمثل آراءه النحوية تمثلاً غريباً رائعاً، نافذاً منها إلى مالايكاد يحصى من الآراء، فإذا هو يسوي من ذلك "الكتاب" آيته الكبرى، وقد بلغ من إعجاب الأسلاف به أن سموه "قرآن النحو" وكأنما أحسوا فيه ضرباً من الإعجاز، لالتسجيله فيه أصول النحو وقواعده يسجيلاً تاماً فحسب، بل أيضاً لأنه لم يكذب يترك ظاهرة من ظواهر التعبير العربي إلا أتقنها فقها وعلماء وتحليلاً.

وحمل "الكتاب" عن سيبويه تلميذه الأخفش الأوسط، وأقرأه تلاميذ بصريين في مقدمتهم المازني وتلاميذ كوفيين في مقدمتهم الكسائي، وكان لهجاً بالإعراض على سيبويه والخليل مما جعله ينفذ إلى كثير من الآراء وخاصة أنه كان يفسح للغات الشاذة، وهو يعد الإمام الحقيقي للكسائي وغيره من أئمة المدرسة الكوفية. وكان يُعنى بالدفاع عن القراءات المشتملة على بعض الشذوذ والاحتجاج لها بأشعار العرب الفصحاء. وفي مواطن أخرى أن الفرّاء إمام المدرسة الكوفية بعد الكسائي هو أول من تعرض للقراءات الشاذة بالإنكار العنيف، وتابعه في ذلك المازني وتلميذه المبرد آخر أئمة المدرسة البصرية الناهيين.

٢. المدرسة الكوفية^{١١}

إن المدرسة الكوفية هي بدأت متأخرًا عند الكسائي، وقد استطاع هو وتلميذه الفراء أن يستحدثا في الكوفة مدرسة نحوية تستقل بطواع خاصة من حيث الاستماع في الرواية، ومن حيث بسط القياس وقبضه، ومن حيث وضع بعض المصطلحات الجديدة، ومن حيث رسم العوامل والمعمولات. وتوسّع الفراء خاصة في تخطئة بعض العرب وإنكار بعض القراءات الشاذة، وكان ينفذ أحيانا إلى أحكام لا تسندها الشواهد والأمثلة، وهو يعد بحق إمام الكوفيين، فتحلب وغير ثعلب إنما كانوا شارحين لآرائه ومفسرين.

٣. المدرسة البغدادية^{١٢}

كانت في المدرسة البغدادية قد ترامت عليها ظلال خُدَع كثيرة وخاصة أن علميها الفذّين : أبا علي الفارسي وابن جني كثيرا ما يكتبان عن البصريين في مصنفاتهما باسم "أصحابنا" مما جعل كثرة المعاصرين تظن أنهما بصريان حقًا، وهما إنما يصوران بذلك نزوعهما الشديد لتقاء البصريين، أما بعد ذلك فإنهما ينهجان النهج القويم للمدرسة البغدادية القائم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية، مع فتح الأبواب للاجتهاد والخلوص إلى الآراء المبتكرة.

وقد تداول هذه المدرسة جيلان : جيل أول كانت تغلب عليه النزعة الكوفية، وهو الذي يدور في كتابات ابن جني باسم البغداديين، من أمثال ابن كيسان. ثم جيل ثان خلف هذا الجيل كانت تغلب عليه النزعة البصرية على نحو ما يلقانا عند الزجاجي ثم أبي علي الفارسي وابن جني مؤصل علم التصريف وواضع قوانينه الكلية.

٤. المدرسة الأندلسية^{١٣}

إن المدرسة الأندلسية متتبعًا نشاطها النحوي طوال العصور المتعاقبة، ولاحظت استظهار نُحاتها منذ القرن الخامس الهجري لآراء أئمة النحو السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين، مع الاجتهاد الواسع في الفروع ومع وفرة الاستنباطات وكثرة التعليقات والاحتجاجات. ولا نكاد نتقل من جيل إلى جيل حتى تلقانا مجموعة من الأئمة، وكل إمام منهم يثير من الحواطر والآراء ما لم يسبقه إليه سابق من النحاة المجلّين، حتى لنرى ابن مضاء القرطبي يريد أن يصوغ النحو صياغة جديدة تخلو من نظرية العوامل والمعمولات

^{١١} شيقى ضيف، المدارس النحوية،، ص. ١٥١

^{١٢} شيقى ضيف، المدارس النحوية،، ص. ٢٤٥

^{١٣} شيقى ضيف، المدارس النحوية،، ص. ٢٨٨

المذكورة والمقدّرة ومن العلل والأقيسة المعقدة. وأكبر أئمتهم على الإطلاق ابن مالك وقد رسمت في إجمال آراءه ومنهجه، وعرضت لخالفه من نحاة الأندلس وخاصة أبا حيّان.

٥. المدرسة المصرية^{١٤}

المدرسة المصرية كانت في أول نشأتها شديدة الاقتداء بالمدرسة البصرية، ثم أخذت تمزج منذ القرن الرابع الهجري بين آراء البصريين والكوفيين، وضمّت سريعا إلى تلك الآراء آراء البغداديين غير أنّها لم تونق ولم تزدهر إلا منذ العصر الأيوبي، وسرعان ما تكامل ازدهارها في العصر المملوكي بما أتاحه لها ابن هشام من ملكاته العقلية النادرة ومن إحاطة بآراء النحاة السالفين له على اختلاف مدارسهم وأعصارهم وبلداتهم، ومن قدرته البارعة في مناقشة تلك الآراء، مع ما امتاز به من طرافة التحليل والاستنباط وجمال العرض و الأداء. وظلت الدراسات النحوية ناشطة بعده في مصر حتى العصر الحديث.

تطورات علم النحو

أطوار النحو الأربعة : طور الوضع والتكوين (البصري)، طور النشوء والنمو (بصري وكوفي)، طور النضوج والكمال (بصري وكوفي)، طور الترجيح والبسط في التصنيف (بغدادى وأندلسى ومصرى وشامى).

١. طور الوضع والتكوين (البصري)^{١٥}

هذا الطور من عصر واضع النحو أبي الأسود إلى أول عصر الخليل ابن أحمد، وقد سلف أن وضعه انتهى في عصر بني أمية. فإن الطبقة الأولى التي أخذت عن أبي الأسود استمرت في تثمير ما تلقته عنه ووفقت إلى استنباط كثير من أحكامه وقامت بقسط في نشره وإذاعته بين الناس، وكان من أفذاذ هذه الطبقة عنبسة بن معدان الفيل ونصر بن عاصم الليثي وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر الغدواني، ويغلب على الظن أن ماتكون من نحو هذه الطبقة فضلا عن قلته كان شبه الرواية للمسموع فلم تنبت بينهم فكرة القياس.

أما الطبقة الثانية قد أضافت كثيرا من القواعد ونشأت حركة النقاش بينها فجدت في تتبع النصوص واستخراج الضوابط لما هيأها وقتها. وكان من المشار إليهم فيها عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي الذي يقول فيه أبو الطيب، وأن عيسى بن عمر الثقفي صاحب

^{١٤} شيفي ضيف، المدارس النحوية،، ص. ٣٢٧

^{١٥} محمد الطنطاوى، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، (دار المنار، ١٩٩١)، ص. ٢٠

الكتابيين في النحو: الجامع والإكمال. وأبو عمر بن العلاء صاحب التصانيف الكثيرة على ما ستعرف في ترجمته.

٢. طور النشوء والنمو (بصرى وكوفى)

هذا الطور من عهد الخليل بن أحمد البصرى وأبي جعفر محمد بن الحسن الرؤاسى إلى أول عصر المازنى البصرى وابن السكيت الكوفى. يسمى بطور النشوء والنمو لأن هذا الطور مبدأ الاشتراك بين البلدين في النهوض بهذا الفن والمناقسه في النظر بشرفه، فقد تلاقت فيه الطبقة الثالثة البصرية برياسة الخليل والأولى الكوفية بزعمارة الرؤاسى، فوثب هذا الفن وثبة حيي بها حياة قوية أبدية بعد.

ونقصد بالنحو معناه العام الذى يشمل مباحث الصرف لأن مباحث رجال الماضى كانت منصرفة حول أواخر الكلمات، ورعاية أواخر الكلمات بقوانين النحو وإن كلفت دفع اللحن عن الكلام وأصلحت هيكله الصورى للتأدية العامة إلا أن تلك التأدية لاتتم فيه إلا إذا سلمت جواهر أجزائه التى يتقوم بها، ولأن الخطأ فيها لا يذهب بالمعنى المقصود للمتكلم كالخطأ أواخر الكلمات وهذا فى سبب وضع النحو.

٣. طور النضوج والكمال (بصرى وكوفى)^{١٦}

هذا الطور من عهد أبى عثمان المازنى البصرى (إمام الطبقة السادسة) ويعقوب بن السكيت الكوفى (إمام الرابعة)، إلى آخر عصر الميزد البصرى (شيخ السابع)، وثلعب الكوفى (شيخ الخامسة). فخلص النحو من الصرف الذى ييقى وحده متمسكا به فى التأليف إلى أول هذا الطور.

وأول من سلك هذا السبيل المازنى فقد ألف فى المصر وحده وشق ذلك الطريق لمن بعد، ومن هذا الحين تشبعت مسالك التأليف العلوم العربية، فمن مؤلف فى النحو وحده ومن مصنف فى الصرف وحده ومن خالط بينهما. وقد رعى العهد القديم المبرد فى كتابه الكامل الذى جمع فيه من كل دوحة غصنا، فبينما يسبح فى الأخبار إذا هو يوافيك بالتحقيق اللغوى ثم إذا هو يباغتك بالإشكالات الغريبة فى النحو والتحقيقات الممتعة فى الصرف ولا تكاد تنهى منها حتى يطل عليك بالأدب الطريف، إلا أن ذلك النهج قليل تلقاء ماكثر من مؤلفات مستقبل بالفروع العربية بعد تمييزها.

^{١٦} محمد الطنطاوى، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة،، ص. ٢٦

٤. طور الترجيح والبسط في التصنيف (بغدادى وأندلسى ومصرى وشامى).

بعد أن توافد الفريقان على بغداد أرسالا، وهجرا المصرين عندما كثرت فيهما الاضطرابات وتوالت الحن من الرُط والقرامطة والزنج وعدا عليهما حدثان الدهر بعد أن أبليا في سبيل هذا العلم بلاء حسنا خلده لهما الدهر في صحائفه، ومع ذلك فقد ظلت الحزبية قائمة إلا أنها آخذة في الاضمحلال فأن توحيد الوطن بينهما واتصالهما بالخلفاء والأمراء والشعب البغدادى عاملان على تقويض دعائم الخلاف بينهما.

طبقات علم النحو

١. طبقات البصريين^{١٧}

الأولى:

(أ) نصر بن عاصم الليثى المتوفى سنة ٨٩هـ

(ب) عنبسة بن معدان الفيل المهر

(ج) عبد الرحمن بن هرمز أبو داود الأعرج

(د) يحيى بن يعمر العدوانى

الثانية:

(أ) ابن أبي إسحق (طريقة الإعلال)

(ب) عيسى بن عمر الثقفى

(ج) أبو عمرو بن العلاء

الثالثة:

(أ) الأخفش الأكبر : أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس ابن ثعلبة (طريقة

السماع : أسماء الأفعال المنقولة من الظروف)

(ب) الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى (طريقة علله، ووضع علم العروض والقافية، وأول من

دون معجما فى اللغة بتأليفه (كتاب العين))

(ج) يونس بن حبيب الضبى

الرابعة:

(أ) سيبويه ملقب بأبى بشر: عمرو بن عثمان بن قنبر (الكتاب)

^{١٧} محمد الطنطاوى، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة،، ص. ٤١

ب) اليزيد : أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة (مختصر فى النحو)
الخامسة:

أ) الأخفش : أبو الحسن سعيد بن مسعدة ابن دارم (المقاييس والأوسط)
ب) قطرب : أبو على محمد بن المستنير (كتاب العلل)
السادسة:^{١٨}

أ) الجرمى : أبو عمر صالح بن إسحق (مختصر فى النحو)
ب) التوّزى : أبو محمد عبد الله بن محمد (أخذ عن الجرمى كتاب سيوييه)
ج) المازنى : أبو عثمان بكر بن محمد (كتاب فى علل النحو وكتاب التصريف)
د) أبو حاتم السجستاني : سهل بن محمد (إعراب القرآن وكتاب الأدغام)
هـ) الرياشى : أبو بن الفرّج
السابعة:

أ) الميرّلا : أبو العباس محمد بن يزيد (كتاب الكامل)
٢. طبقات الكفوفيين^{١٩}

الأولى:

أ) الرؤاسى : أبو جعفر محمد بن الحسن بن كعب القرظى (كتاب الفيصل)
ب) معاذ الهراء : أبو مسلم.
الثانية:

الكسائى : أبو الحسن على بن حمزة
الثالثة:

أ) الأحمر : أبو الحسن على بن الحسن (كتاب التصريف)
ب) الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد (كتاب الحدود)
ج) اللحيانى : أبو الحسن على بن المبارك (كتاب النوادر)
الرابعة:

أ) ابن سعدان : أبو جعفر الضيرير محمد بن سعدان
ب) الطّوال : أبو عبد الله محمد بن أحمد

ج) ابن قادم : أبو جعفر محمد بن عد الله بن قادم (النحو الكافى والمختصر)

^{١٨} محمد الطنطاوى، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة،، ص. ٦٦.

^{١٩} محمد الطنطاوى، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة،، ص. ٦٩.

الخامسة: ٢٠

ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى

نظريات علم النحو

مناهج البحث عن علم النحو تدلّ على القواعد النحو الأصول الأربعة:

١. السماع، يحتوي على :

(أ) القرآن

إنما نقصد به عددا من القراءات التي قد يكون بين إحداها والأخرى خلاف في

صوت أو لفظ أو تركيب نحوي لآية من آيات القرآن.

(ب) الحديث النبوي

وأما الحديث فيرفض النحاة الأولون به في الاستشهاد على مسائل النحو،

محتجين بأنه قد سمحت الرواية فيه بمعناها لا بلفظه، وكذلك إثثارهم الابتعاد عن

موطن تزل فيه الأقدام بعد شيوع الوضع في الحديث العصور الإسلامية.

(ج) كلام العرب من الشعر والنثر

الشعر فقسم اللغويون الشعراء إلى أربعة هي: طبقة الجاهلين، وطبقة المخضرمين،

وطبقة الإسلامية، وطبقة المولدين والمحدثين. وأما النثر العربي فهم يختلفون في الفصح

منه وغير الفصح.

وقد اختلف النحاة البصريون عن الكوفيين، أن البصريين يحددون القبائل التي

يسمعون منها ويروون عنها، وقيمون القواعد على أساس نطقها. ولهم رأى في الرواة

الذين يعتدون بروايتهم، كما أنهم لا يعتدون بكل مسموع، إذ يقيمون قواعدهم على

الأكثر والأشهر ويهملون ما عداه مهما كان فصيحاً. أما الكوفيون فيسمعون من كل

قبائل العرب جميعاً ويأخذون عن كل الرواة ويعتدون بكل مسموع وقيمون عليه

قاعدة نحوية.

٢. القياس ٢١

ونعي بالقياس (محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية، وحمل كلامنا على كلامهم، في

أصول المادة وفروعها وضبط الحروف وترتيب الكلمات وما يتبع ذلك). والقياس بهذا

٢٠ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة،، ص. ٧٣

٢١ تمام حسان، "الأصول"، ص. ١٤٩

المعنى واضح الغاية سهل الفهم، يغنينا عن التفصيل والتشعب والتعقيد الذي سلكه كثير من القدماء والمحدثين.

وقد أجمع العلماء على أن أول من علل النحو وكان شديد التجريد للقياس أي القياس النحوي هو عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي حتى جاء الخليل وجاء سيبويه، واتسع في القياس ثم اكتملت فكرة القياس النحوي على أيدي النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه مثل أبي علي الفارسي.

والبصريون لا يقيمون قياسهم إلا على سماع يتوافر. فيه شروط معينة من ناحية المادة كما ونوعياً. أما الكوفيون فيعتدون بكل مسموع لا يشترطون في السماع شيئاً. لذا قيل: (البصريون أهل قياس والكوفيون أهل سماع).

٣. الإجماع

ويعنى بالإجماع في عرف النحاة نوعان: أولهما إجماع العرب، وثانيهما إجماع نحاة البلدين البصرة والكوفة، وهو حجة إذا لم يخالف السماع أو القياس الذي صنعه النحاة، ويلجأ النحاة والعلماء إلى تباينت الآراء.

٤. استصحاب الحال^{٢٢}

المراد بالاستصحاب الحال في النحو هو "البقاء على الصورة الأصلية المجردة من قبل النحاة"، ويقع الاستصحاب في الصوت والكلمة كما يقع في الجملة. هنا جانبان من الاستصحاب: أولهما ما يسمى بأصل الوضع أو الوضع الأصلي، وأصل القاعدة أو القاعدة الأصلية. وثانيهما ما يعرف بالعدول عن أصل الوضع وأصل القاعدة. وأصل الوضع أو الوضع الأصلي للجملة العربية أنها مثلاً تتكون من المبتدأ والخبر بالنسبة للجملة الاسمية، ومن الفعل والفاعل أو نائب الفاعل بالنسبة للجملة الفعلية.

وقد يجوز للجملة العدول عن أصل وضعها بشرط الحفاظ على "الإفادة وأمن اللبس". وأصل القاعدة مثل قاعدة رفع الفاعل والمبتدأ وتقديم المبتدأ على الخبر، والعدول إما أن يكون مطرداً أو غير مطرد. وغير المطرد يسمية النحاة شاذاً أو ضرورة أوقليلاً أو نادراً أو خطأً.

من بعض مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين:^{٢٣}

أ. الفعل مشتق من المصدر وقالوا الكوفيون المصدر مشتق من الفعل.

^{٢٢} تمام حسان، "الأصول".....، ص. ١٠٥

^{٢٣} محمد الطنطاوي، نشأة النحو.....، ص. ٩٧

- ب. الألف والواو والياء في التثنية والجمع حروف إعراب وقالوا إنها إعراب.
ج. الإسم الذى فيه تاء التأنيث كطلحة لا يجمع بالواو والنون وقالوا يجوز.
د. فعل الأمر مبنى وقالوا معرب.
هـ. المبتدأ مرتفع بالابتداء والخبر بالمبتدأ وقالوا المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ
و. الظرف لا يرفع الاسم إذا تقدم عليه وقالوا يرفعه.
ز. يجوز تقديم الخبر على المبتدأ وقالوا لا يجوز.
ح. نعم وبئس فعلان ماضيان وقالوا اسمان.
ط. لا يجوز تقديم الاستثناء في أول الكلام وقالوا يجوز.
ي. علامة الإعراب : فتحة، كسرة، ضمة، و سكون. وعلامة البناء: نصب، جر، رفع، و
جزم. وقالوا لا فرق بينهما.

الإستفادة لتعليم اللغة العربية

- بعض المآخذ على منهج النحو العربي:
رأى اللغويون المحدثون الغرب الذين أطلقوا على النحو القديم بما فى ذلك النحو العربي اسم النحو التقليدي (*Traditional Grammar*) رأوا جوانب (النقص) فى النحو العربي، نجملها فيما يلي:
١. إن النحو التقليدي عمدوا إلى فرض هذه القواعد على اللغة، وكانوا كلما دهمتهم الأمثلة التى تعارضهم لجأوا إلى تأويلها أو وصفها بأنها شاذة أو أن صاحبها قد أخطأ.
 ٢. إن النحو التقليدي قد خلطوا هذه المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية خلطاً شديداً، كما نرى فى المؤلفات النحوية الباكورة والمتأخرة على حد سواء.
 ٣. إن التحديد الزماني والمكاني فى جمع البيانات اللغوية عند النحاة القدامى جعل النحو العربى نحواً لا يمثل العربية فإنما يمثل جانباً واحداً منها، فهو لا يصور إلا هذه العربية التى حددوها مكاناً وزماناً، معنى ذلك أنه نحو ناقص لا يقدم قواعد الكلام العربى فى بيئته المختلفة.
 ٤. أن النحو التقليدي لا يميز بين (اللغة المكتوبة) و (اللغة المنطوقة)
 ٥. إن النحو العربى يتأثر بالتحليل الفلسفى فى العلة والعامل ومسألة الجواهر.
- ووظيفة القواعد أنها وسيلة لضبط الكلام، وصحة النطق والكتابة، وليست غاية مقصودة لذاتها. والقاعدة النحوية الأساسية تعين على استخدام اللغة استخداماً صحيحاً سواء فى

الحديث أم في القراءة، أم في الكتاب. هي وسيلة لعصمة اللسان من الوقوع في الزلل، والقلم من الوقوع في الخطأ.^{٢١}

إذا استعرض طرق تدريس القواعد النحوية في الطرق التالية:

١. الطريقة القياسية

هذه الطريقة يبدأ فيها المعلم بعرض القاعدة النحوية أولاً وتعليمها، ثم يلي ذلك عرض على الأمثلة والشواهد التي توضح هذه القاعدة النحوية، وبعد ذلك يتم عمل بعض التطبيقات عن طريق بعض الجمل التي تعزز القاعدة وتؤكد لها لدى الطلاب.

٢. الطريقة الاستقرائية

هذه الطريقة يبدأ فيها المعلم بتسجيل مجموعة من الأمثلة التي تتضمن القاعدة أو المفهوم النحوي ثم يحاول المعلم أن يجذب انتباه الطلاب إلى كل هذه الأمثلة، حتى يستطيعوا استنباط القاعدة النحوية المطلوبة من هذه الأمثلة، ويلي ذلك تسجيل القاعدة على السبورة، ثم يذكر بعض التطبيقات لتدريب للطلاب على القاعدة النحوية المدروسة.

٣. طريقة النصوص المتكاملة

وتقوم على الاتيان بنص متكامل يستوعبه الطلاب، ويناقشون معناه، ثم يستخلصون بارشاد المعلم القاعدة التي تشمل عليها الأمثلة.

٤. طريقة النشاط

في هذه الطريقة يطلب المعلم من تلاميذه أن يجمعوا الجمل والنصوص والتراكيب التي يتناول أى مفهوم نحوي يراد تعلمه كالمبتدأ أو الخبر أو الفعل والفاعل، حروف الجر، أدوات الاستفهام وغيرها. تكون عملية الجمع هذه مما يعين لهم في الكتب المدرسية أو القصص أو المجالات، ويلي ذلك أن يقوم المعلم باستنباط المفهوم النحوي، وتسجيل القاعدة، ثم القيام بالتطبيقات المختلفة.

٥. طريقة المشكلات

تطبق هذه الطريقة في مجال التعليم النحوي على النمط الآتي :

أ) يضع المعلم أمام طلابه مشكلة نحوية لا يتسنى حلها الا عن طريق القاعدة الجديدة، كان يجمع عن طريق القراءة أو التعبير بعض الأخطاء التي نجمت عن عدم معرفة القاعدة، ويناقشها مناقشة تظهر منها حيررتهم وحاجاتهم إلى مايساعدهم على الخروج من هذه

^{٢٤} محمد رشدي خاطر و مصطفى رسلان، تعليم اللغة العربية والتربية الدينية،، ص. ١٨١ - ١٨٢

الحيرة، وكأن تمثل الانتقال من القواعد التي سبقت إلى القاعدة الجديدة مشكلة في حاجة إلى حل.

ب) يتناول المعلم مع تلاميذه هذه المشكلة التي سبق عرضها متيحاهم الفرصة في مواجهتها بأنفسهم وبجهودهم الذاتي.

ج) يوجه المعلم انظار طلابه إلى اختلاف وظيفة الكلمة في الجملة، واختلاف التكوين في الجمل منتظرا منهم الحل، فإذا بدأ عجزهم أخذ بأيديهم إلى القاعدة والضبط الصحيح وتأتي الخطوة الأخيرة بغرض التطبيقات المختلفة والاستخدامات المتنوعة على القاعدة النحوية.

٦. طريقة التعيين^{٢٥}

ولبّ هذه الطريقة أنها تعتمد إلى فقرة أو قصيدة، من ديوان شعر يحدده المعلم، أو يستقرئ أحد الطلبة، ثم يأخذ في تفسيرها وتترك الحرية للطلاب أن يخللوا ويقارنوا ويربطون ويعللوا. وهذه الطريقة تؤكد وتعزز تكاملية اللغة، وربط جميع مهاراتها مع بعضها البعض.

الإستنباطات

من هذا البحث السابقة، نعرف أن ليس لأحد أن ينكر وجود خلافات بين النحويين في درس النحو التقليدي، بل إننا نستطيع القول بأن الخلاف ظاهرة طبيعية بالنظر إلى خصوصية اللغة العربية، وما تتحمله من إمكانية التأويل والتوجيه، وقد قالوا قديما بأن الإعراب فرع المعنى، ولما كان التأويل والتوجيه مبنيين في الأصل على الفهم، ولما كان الفهم متعددًا، فقد أدى ذلك إلى تعدد الآراء واختلافها.

قائمة المراجع

- ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار لسان العرب، ١٩٧٠.
- الفيومي، كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٢٨.
- مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصر: مطبعة السعادة، ١٩١٣.
- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار القلم، ١٩٦٦.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دارالهدى للطباعة والنشر، ١٩٥٢.

^{٢٥} محمد رشدي خاطر و مصطفى رسلان، تعليم اللغة العربية والتربية الدينية،، ص. ١٩٨-٢٠٣.

تمام حسان، "الأصول" دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو-فقه اللغة-البلاغة،
القاهرة: علم الكتب، ٢٠٠٤.

محمد رشدى خاطر و مصطفى رسلان، تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، القاهرة: دار الثقافة والنشر
والتوزيع، ٢٠٠٠.

شيقى ضيف، المدارس النحوية، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨.

محمد الطنطاوى، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المنار، ١٩٩١.